

المقاومة الإسلامية لوصول لوجارد إلي يوغندا

د. صلاح حامد عبدالرحمن علي

جامعة كردفان

يرتبط وصول فردريك لوجارد F.D. Lugard إلي يوغندا بتبدل تام لأحوال المسلمين فيها وذلك كنتيجة طبيعية للسياسة العدائية للنفوذ البريطاني ، والرامية إلي التخلص من الوجود الإسلامي في شرق إفريقيا ، حيث كانت الخطوات الأولى لتلك السياسة قد بدأت بإتاحة الفرصة للهيئات والمؤسسات التنصيرية الأوروبية بهدف تمكينها من منافسة الحضور الإسلامي في يوغندا من جهة ، ثم التمهيد للاحتلال الأوربي والسيطرة السياسية التي تعقب ذلك من جهة أخرى .

حدث ذلك في عهد الملك موانجا Mwanga الذي خلف والده ميتسا Metessa علي عرش يوغندا عام 1302هـ / 1884م ليواجه تدفق عدد كبير من المنصرين والبعثات التنصيرية التي تدعمها بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية ، إذ كان المجال مفتوحا لتلك الهيئات التنصيرية لممارسة نشاطها منذ عهد الملك ميتسا ، وكان الأخير قد اقتنع في نهاية الأمر بأن يترك الخيار لأفراد رعيته لاختيار مايناسبهم من الديانات ، سواء كان الإسلام أو النصرانية التي يتنافس أتباعها من المنصرين الكاثوليك والبروتستانت علي الساحة (1) .

لكن موانجا وجد نفسه بمرور الوقت يواجه مشكلة التناقص بين الديانتين الإسلام والنصرانية بشقيها نحو كسب الأتباع ، وفي مقدمتهم الملك موانجا ذاته ، لأن المفهوم السائد هناك أن اقتناع الملك باعتناق واحدة من الديانتين ، يتبعه اقتناع الرعية ، فالنصاري يحاولون ما أمكنهم أن يكون لديهم الكثير من الزعماء المقربين للملك ، بينما كان المسلمون من الباغندا أكثر حرصا في المحافظة علي مكانتهم ، بجانب الملك موانجا المسلم أصلا (2) .

ويبدو أن تلك السياسة قد أصابت الملك موانجا بالضيق نتيجة للضغوط التي واجهته من الفريقين ، علي الرغم من أنه حاول مرارا العمل علي مواجهة إحدى الطوائف النصرانية ، وربما معاداة الطائفتين النصرانيتين في وقت واحد ، والميل إلي المسلمين ، ثم يعود في وقت لاحق ليواجه المسلمين عندما يشعر أن قوتهم قد تجاوزت الحد الذي يراه ، وغالبا مايفضل التودد إلي من يعتقد أنه يشكل خطرا علي حكمه ، وكان كثيرا مايبعد متوترا وعنيفا في مواجهة خصومه (3) وقد بلغ به الأمر حدا جعله يفكر في التخلص من بعض زعماء الفئات النصرانية والمسلمة معا عندما حاول عام 1306هـ / 1888م إجبارهم علي حضور استعراض بحري في إحدى الجزر بحيرة فكتوريا ، وهو تقليد يتبعه ملوك الباغندا في إقامة التدريبات البحرية ، وكانت خطته تقضي باستدراج أولئك الزعماء إلي هناك حيث ستركهم في تلك الجزيرة يموتون جوعا أو تلتهمهم

التماسيح ، لكن خطته لم تنجح بعد أن كانت قد تسربت إلي أولئك الزعماء الذين أغضبهم ذلك فدبروا انقلابا خلغوا فيه موانجا عن العرش ، ووضعوا أخيه كييوا Kiwewa ملكا علي الباغندا بدلا منه (4) .

غير أن كييوا كان ضعيفا ، فضلا عن أنه لم يكن راغبا في تحمل تلك المسؤولية منذ البداية ، ولذلك لم يتمكن من مجارة زعماء المسلمين في السيطرة علي الأوضاع ، وكانوا قد ساندوه وحدهم دون الفئات الأخرى ، وفي أول مواجهة مع أولئك الزعماء عام 1307هـ / 1889م هرب كييوا متخليا عن ملكه ، فنصب المسلمون الباغندا أخاه كاليفا Kalima ملكا خلفا له ، وكان شهما شجاعا متحمسا لأتباعه المسلمين (5) .

ويتضح مما سبق أن زعماء الباغندا المسلمين كانوا أكثر حرصا علي أمن المنطقة واستقرارها ، وبعاد شبح الانقسامات الطائفية عنها قدر الإمكان ، وذلك نتيجة لمعرفتهم بأن تدخل الإرساليات التنصيرية المتنافسة في الشؤون التي تتعلق بسياسة الحكم قد تؤدي إلي مخاطر يصعب التكهن بنتائجها .

وكان موانجا قد توجه بعد إبعاده نحو جزيرة بوكمبي المجاورة ، وقدم نفسه إلي الآباء البيض من الكنيسة الكاثوليكية ، وأظهر الندم والتوبة علي أفعاله السابقة ، وطلب مساعدتهم لكي يسترد عرشه مرة أخرى ، حيث اتفق المنصرون من الكاثوليك والبروتستانت علي تقديم المساعدة له نكاية في المسلمين ، رغم أنهم كانوا قد اتفقوا في السابق معهم علي أنه لا يصلح لسلطة الحكم بعد الشدة والفظاظة التي انتهجها ، والتي أدت بحياة العديد من الأشخاص ، بالإضافة إلي أنهم يحملونه مسؤولية مقتل القس هنتجتون الذي اغتيل عقب وصوله عام 1306هـ / 1888م ليوغندا (6) ورغم أنه لم يتم الاهتداء إلي الفاعل ، إلا أن قتله يعبر بجلاء عن رفض المجتمع اليوغندي للنشاط التنصيري في تلك الجهات .

وفي أبريل عام 1307هـ / 1889م بدأت أول محاولة من الفئات الكاثوليكية والبروتستانتية لإعادة موانجا الي السلطة ، حيث وجد دعما من المنصر المخادع شارلس ستوكس Charls Stokes وكان يتبع في السابق لجمعية التنصير الكنسية (C.M.S) ويعمل في تجارة الأسلحة والذخيرة ، وبناء علي تلك المساندة تقدم موانجا لمهاجمة كاليفا الذي يقود مسلمي الباغندا ، حيث تمكن الأخير من التصدي لهم وهزيمتهم ثم أجبرهم علي الارتداد نحو الجزيرة مرة أخرى (7)

وفي تلك الظروف عندما كانت أوغندا تمر بمرحلة دقيقة وحساسة نتيجة لتساع وتيرة الحوادث في المنطقة ، وصل الي الشاطئ الشرقي من بحيرة فكتوريا مستر جاكسون مبعوث شركة شرق إفريقيا البريطانية ، وكانت لديه توجيهات من إدارة الشركة بعدم التقدم نحو يوغندا ، والاكتفاء بالبقاء في منطقة المنايع ، وهي الحدود المتعارف عليها للشركة حتي ذلك الوقت ،

وذلك حسب معاهدة عام 1304هـ / 1886م إذ كانت الشركة البريطانية لا ترغب بالتورط في مغامرات غير مفيدة (8) وعندما سمع موانجا بوصول مستر جاكسون أرسل إليه يطلب مساعدته ، فاشترك عليه جاكسون الدخول تحت حماية الشركة البريطانية بدلا عن التعويضات التي اقترحها عليه موانجا نظير تدخله ، وبعث إلي موانجا بعلم الشركة علامة الموافقة ، ثم بارح جاكسون المنطقة في رحلة بحث عن العاج دون أن ينتظر رسالة موانجا بالموافقة علي إبرام المعاهدة ، وقد تركت تلك الرسالة في المعسكر الخالي ، وتصادق أن كارل بيترز الألماني قد مر من هناك في عام 1308هـ/ فبراير 1890م ، وعندما علم بمحتوي الرسالة